

تفسير أبي السعود

الأنعام آية 159 .

المتفاوته كما وكيفما وإنما لم يقتصر على بيان ما يوجب أصل النفع وهو الإيمان السابق مع أنه هو المقابل لما لا يوجبه أصلاً أعني الإيمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الواصل أيضاً إرشاداً إلى تحري الأعلی وتنبیها على كفاية الأدنى وإقناطاً للكفرة عما علقوا به أطماعهم الفارغة من أعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب وفك العنابة وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان أن كل ذلك لغو بحت لا يتناهى على غير أساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وأن الإيمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام أعمالهم السابقة واللاحقة ولك أن تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الأمرين الواجبين عليهم وإن كان وجوب أحدهما منوطاً بالآخر كما في قوله D فلا صدق ولا صلى تسجيلاً بكمال طغيانهم وإيداناً بتضاعف عقابهم لما تقرر من أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذه كما ينبىء عنه قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة إذا تحققت هذا وقفت على أن الآية الكريمة أحق بأن تكون حجة على المعتزلة من أن تكون حجة لهم هذا وقد قيل إنها من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه وليس بواضح فإن مبنى اللف التقديري أن يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلاً على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه إياه كما مر في تفسير قوله D ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيحشرهم إليه جميعاً فإنه قد طوى في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بآباء التفصيل عنه أعني قوله تعالى فأما الذين آمنوا الآية ولا ريب في أن ما قدر ههنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيراً ولا هو من مقتضيات المقام لأنه ليس ممناً وعدوه وعلقوه بإتيان ما ذكر من الآيات كالإيمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه إذ ذاك على أن ذلك مشعر بأن لهم بعد ما أصابهم من الدواهي ما أصابهم بقاء على السلاة وزماناً يتأتى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الإخلال بمقام تهويل الخطب وتفطيع الحال ما لا يخفى وقد أجيب عن الاستدلال بوجه آخر قصارى قصارى أمرها إسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المنون القوية الدلالة على ما ذكر من كفاية الإيمان المجرد عن العمل في الإنجاء الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من أن الظني بمعزل من معارضة القطعي قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ما

تنتظرونه من إتيان أحد الأمور الثلاثة لتروا أي شيء تنتظرون إنا منتظرون لذلك لنشاهد ما
يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأييد لكون المراد بما ينتظرونه إتيان ملائكة العذاب أو
إتيان أمره تعالى بالعذاب كما اشير عليه وعدة ضمنية لرسول الله ﷺ والمؤمنين بمعابنتهم لما
يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه أعلم إن الذين
فرقوا دينهم استئناف